# إشراقة عشق

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ ٢٠٢٠م

## تنبيه

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف والناشر على هذا كتابة ومقدمًا.

رقم الإيداع

٢٠١٩/٢٥٢٩٥

## بطاقة فهرسة

خليل، حسن

إشراقة عشق: رواية/ حسن خليل، رضوى جاويش،

ط١ - القاهرة: دار غراب للنشر والتوزيع: ٢٠١٩

٦٠ صفحة؛ ١٤ x ٢٠ سم

تدمك: ٩٧٨-٩٧٧-٧٨٦-٢٠٥-٩

١- القصص العربية

أ- جاويش، رضوى (مؤلف مشارك)

ب - العنوان

٨١٣

دار غراب للنشر والتوزيع

٨ عمارات الواحة - قطعة ١٠

مدينة نصر القاهرة

ت: ٠١١١٠٣٧١٦٤٠

info@ghorabpublishing.com

تصميم الغلاف

رائد مجدي

التنسيق والإخراج

أحمد البسيوني

# إشراقة عشق

حسن خليل

رضوي جاويش

# الإهداء

# تقديم

العشق أحاديثه خالدة، فهو نشوة الروح وشفاء النفس وبهجة الدنيا ومتعة الحياة .فهو نور ونار داء ودواء يطرق عقل الحكيم فيفتنه وينطق لسان البليغ فيطربه ويسكن قلب الحليم فيرقصه فهو يخامر العقل ويسكر القلب ويتيه بالنفس ويشبع الروح يخرج النفس من الغرائز للفضائل والعاشق قديس فى محراب الغرام ..ناسك فى دنيا الشوق متعبد فى خلوة الحب حالم فى عالم سرمدى لاينطق إلا بعذب الكلام وجميل القول فالعشق يهذب النفس ويطهر الروح.

فكم قرأنا عنه وسمعنا عن معاناة أهله وتتبعنا قصصهم فى كتب الأدب وحفظناها فى أذهاننا لا تغيب قط نسردها فى مجالس السمر ونقرضها شعراً ونتقمص أدوارهم حال ما مررنا بلحظات عشق ....

فلطالما شدّتنا تلك الحوارات الغرامية بين أدباء الزمن القديم وشغفنا بها دراسة وقراءة ومتعة.

فقد عُدت من عيون الأدب الرومنسى، بل من أروع ما نستشهد به فى هذا النوع من الأدب.

وهاهى الأن تُبعث من جديد، فى تحفة فنية للدكتور حسن خليل فى حوارية جميلة بينه وبين طالبته رضوى جاويش من خلال روايته إشراقة عشق ليوقظ زمن الرسائل الغرامية فى حلة جديدة بطرح جديد للأدب الروائى المعاصر الهادف.

فقد رحلا بنا من خلال هذه الرواية إلى عالم العشاق، حيث أضاءا مصابيح البوح بين قمرين عاشقين أضناهما الشوق وهدهما بُعد اللقاء فى لمسة أدبية بوحية متفردة ..بتقنية زمنية عالية..فى قالب عرفى تقليدى يحجزه حيز المجتمع العربى .ففى هذه الرحلة العمرية التى صاحبها الحب من بدايتها الى نهايتها، حيث كان بين الصمت والكلام، مسافات من أجمل المسافات التى لا تنتهى ولا يذيبها اللقاء فكنا على ضفاف العيون المتيمة نقطف عذب الكلام فى عالم سكونى جميل ..وفى صمتية الليل تعزف القلوب سمفونية غاية فى الروعة فى حوارية تداولية تذهب وحشة الليل.

ليتسربل الصبح بعدها برداء الحب فى إشراقة جميلة فيها لمعة غاية فى السحر.

ولعل إنطاق الحرف من فم الغرام بهذه الوصفية الدقيقة والتصوير العاطفى الجياش من أروع ما احتوته هذه الحوارات .

والرواية فى حد ذاتها تصوير لبذرة الحب من طفولته العفوية البريئة لشبابيته الواعية الصريحة.

ففى غمرة هذا الحب والتأرجح بين اللقاء والفراق كانت عجلة تدور، لاترجع للوراء وطفل الحب الصغير يكبر ويشتد فبعد ما ضم القلبين الصغيرين، الآن يرحل بهما لعالم الواقع، ليصبغ الحنين والهيام والشوق بصبغة الشجن والحزن والضيق، لتكن تلك النهايات القيسية التى تضفى على الرواية نوع من التفرد والتميز.

وليس بالجديد على قلم الدكتور حسن خليل تلك البعثية المتفردة فقد لمسناها فى كثير من كتبه حيث يحاكى كثيرا من نوادر الطرح القديم ليخرجه فى حلة جديدة بمنظور جديد وهذا ما يحتاجه فعلا بعث التراث الأدبى العربى لتقصير المسافات بين القديم والجديد....لكن تبقى تلك الحتمية الاجتماعية التى كانت دوما حاضرة فى نهايات قصص الحب القديم حاضرة فى هذه الرواية فهذا المزج فى حد ذاته عنصرا مميزا لها لكى لا تخرج عن إطار المتعة الشجنية والنهايات الحزينة الموعودة باللقاء،التى تبقى حاضرة فى ذهن المتلقى ..فكم جميل هذا التلاقح الأدبى الذى يلد من خلاله فكر جديد يبعث التراث فى قالب معاصر يجعله حاضر بيننا لا يغيب.

**باريس٢٤-٠٤-٢٠١٨**

**نجاة عمر**

## مقدمة الكاتب

هو سر من أسرار الله المكنونة، أخفاه الله فى قلوب العباد، لا يعرف ماهيته ولا حقيقته،، إنما هو شعور غريب لا تشعر به إلا عند ملاقاة الحبيب، وأيضا عند فراقه، ودوما ما يصحبه الشوق فى البعض والاشتياق فى القرب، فالشوق رسول المحبين، والعجيب أن يشعر المرء بهذا الحب منذ الصغر، ولكنه لا يعرف أنه الحب مهما ترك فيه من أثر، فقد يضحك عند اللقاء، ويبكى عند الفراق، ولكن لا يعرف لماذا، وقد يحن وقد يشتاق، و لا يعرف لماذا، كحال الطفل مع أمه، لا يطيق فراقها، ولا يرتاح إلا ورأسه على صدرها، وإن كان لا يعرف أنه يحبها، وهكذا يحاط المرء بالحب فى كل زمان، وتمر عليه كل مشاعره، من شوق وحزن وحنان، حتى إذا ما جاء الوقت، عرف بأنه الحب، وظهر فيه سر الرب، وأراد وصلة المحب، فإما يسعده القدر، وإما يحزنه الحب، فليس كل محب يحظى بحبيبه، وليس كلهم يحزنه الحب.

**الحب فى المهد**

تبدأ مشاعر الحب منذ بدء الحياة، حيث يعشق الطفل أمه حتى قبل أن يولد، فإنما يشعر بدقات قلبها، والتى منها يستمد دقاته، وبشهيق أنفاسها، والتى منها أنفاسه، حتى إذا ما خرج إلى النور؛ صرخ من قسوة الفراق، فإذا ماضمته إلى صدرها واستشعر دقات قلبها، اطمأن وسكن والتقط ثدييها، ثم يبدأ هذا الشعور فى التمدد، فكلما نضج وأدرك، كلما زاد عدد من يحبهم، ولكن من حيث اعتياد رؤيتهم، وحسن معاملتهم، فإذا ما حدث منهم ما يعكر صفوه، عاد مرتاعا إلى حيث سكنه وأول عشقه، ألا وهو صدر أمه.

***

**الحب فى الطفولة**

وهنا يبدأ المشوار، حيث التعرف على الكثير من الأغيار، فما عاد البيت هو كل الحياة، وما عادت العائلة هى كل البشر، بل وقعت العين على الكثير، وارتاحت النفس إلى القليل، ومال القلب للجميل، حيث مال يميل، وتاقت الروح للوصال، دون أن يعرف ما هذا الحال، وإنما يتصرف بتلقائية، حيث يحب مكان اللقاء، ويتمنى فيه البقاء، وصار

البيت رمزا للفراق، يملأ الحنين قلبه ولا يدرى أنها الأشواق، فلم تكتمل بعد عنده المعانى، فلا يستطيع وصف ما يعانى، فيبكى عند الفراق، ولا يعرفون، ويضحك عند اللقاء، ولا يعلمون، ولا يدرون بأن الحب قد نبت فى القلب الصغير، وصار القلب له أسيرا، حيثما سار يسير، ولن ينتبه لذلك الكثير، إلا صاحبة عشقه الأول، بل والأخير، ألا وهى الأم والتى دوما ما تعرف ماذا يحمل قلب الصغير. وهكذا تكون أول قصة عشق فى الحياة، قد تدوم وقد تنتهى، ولا يأبه إليها الكثير. وأيضا لا يشعر بمرارة فقدها صاحب القلب الصغير.

***

**الحب فى المراهقة**

وهنا ينمو القلب ويشب، ويبدأ فى فهم الحب، ويحرك مشاعره قول أو فعل أو حُسن، وكلهم يلهب فيه نار الحب، وكما تشعل نار الحب فيه كلمة؛ أيضا تؤثر فيه وتحزنه كلمة، فيظل ما بين فرح وحزن، وما هو بحب حقيقى، ولكنه البحث عن الحب، وتمنى وجوده بالقلب، فكل ما يعجبه يعتقد أنه يحبه، ولكن مع كل ذلك قد يجد فى هذه المرحلة من يبادله ذاك الحب، وقد تستمر لما هو أبعد من ذلك، وبرغم أن هذه المرحلة هى أكثر المراحل حزنا عند فقد الحب، أو الصد ممن تحب، ولكنها أجمل مرحلة تسعد فيها بالحب.

**الحب فى الشباب**

وهنا أصبح القلب فتيا، قويا، لا تؤثر فيه صغائر الأمور، يعرف ويميز بين الكثير من الأمور، فما عاد صغيرا تسعده كلمة، ولا مراهقا يجذبه فعل، وإن كان لا يزال يؤثر فيه الحُسن، وأصبح قادرا على التكلم بلغة الحب، والتعبير عما فى القلب، وأصبح يعبر بالنظرات، ويشعر بالنبضات، فإذا ما قابل من يبادله تلك المشاعر، ويشعر معه بالتفاعل، أدرك أن هذا هو الحب، وسعى لأن يرتبط قلبه بذلك القلب، وأصبح همه الوصال، وخوفه الفراق، وشغله الحب، وصار يسعى للشراكة مع هذا الحبيب، والارتباط ليقرب البعيد، وهنا تقابلهم صدمات الحياة، والأعراف الاجتماعية، وقسوة الأقدار، وكثيرا ما تقف حائلا بينهم فلا يكتمل المشوار، وهنا يشعر المحبون بقسوة الحياة، فالتعيس من منعته عن حِبه الأقدار، والسعادة كل السعادة لمن جمعته على حِبه الأقدار.

وفى مجتمعات الحب فيها قد اختفى والقلوب تحجرت والعقل فرض سيطرته، تشرق كل يوم قصة حب فى قلب ما... ولكن كلهم رهن تصاريف الأقدار.

***

وفى كتابنا هذا قصة عاشقين جمعهما القدر منذ الطفولة ومرت بهما كل مراحل الحب، تحديا الأعراف، وصارعا الأقدار، وأكملا معا لنهاية المشوار، فجلسا مع فى أول ليلة تجمعهما، يتبادلا حديث الحب، حتى أشرقت عليهما شمس النهار، فكانت أجمل إشراقة عشق بعد طول انتظار.

**حسن خليل**

**رضوى جاويش**

***

## إشراقة عشق

حبيبتى، انظرى، القمر فى دارة البدر، يشق السكون، ويضىء ظلام الليل،وكأنه يطل علينا من شرفتنا؛ ليبارك ليلتنا، ويشاركنا فرحتنا، ويؤنس وحدتنا، كم شغفت به حبا منذ الصغر، وازدت تعلقا به فى الكبر، كم سهرت معه الليالى، أسامره وأخبره بحالى، فما مل يوما صحبتى، ولا أعرض يوما عن شكوتى، ففى الحزن يمسح دمعتى، ويواسينى فى بليتى، وفى غربتى، يؤنس وحدتى ويبدد وحشتى، وكم رأيته مثل الليلة مبتسماً عند سعادتى، يشاركنى فرحتى.

– وكأنه البارحة، بإمكانى نسيان أى شئ عدا الوهلة الأولى التى رأيتك فيها، الحديث الأول وحتى البسمة الأولى.. أنت شخصٌ لا ينسى وحبٌ لن يهدأ . استطعت أن تجذب إليك فتاةً صغيرةً وتعلقها بك. فى المرة الأولى التى لمعت فيها عيناى كانت عند رؤيتك وحينها دق قلبى وكانه لم يدق مسبقاً... كنت عندما أفكر بك أشعر بالتوتر حتى علمت أنه الحب، حاولت مراراً تجاهل الموضوع ولكن بعقل وخيال طفلةٍ صغيرةٍ كنت أتخيل ما أراه فى القصص والأفلام. تملك منى حبك وسيطر على، فكنت أكبر وكان يكبر معى ذلك الحب، حبٌ كنت أراه

مستحيلا ورجلٌ كنت أرى الوصول اليه أبعد من القمر... وها نحن اليوم تجمعنا ليلة حبٍ تحت ضوء القمر... اليوم نحن سوياً.

أذكر عهدى به منذ طفولتى، منذ أول يوم رأيت فيه وجهك حبيبتى، لم أعرف النوم تلك الليلة، وطالت إلىً السماء فيها نظرتى، فرأيته كما الآن يطل على من شرفتى، فعشقته وهكذا بدأت معك ومعه قصتى، وها قد جاء الآن وكأنه يبارك لى، ويذكرنى بيوم بدأت فيه قصتى، يوم تغير فيه الحال، من طفلٍ يلهو إلى عاشقٍ ولهانٍ،أتذكرين ذاك اليوم حبيبتى؟

لم أكن أعلم ما بداخلى، ولا أدرى ما ينتابنى عندما أراك، تزداد دقات قلبى، وترتعش فرائصى، ويتلعثم لسانى، وبرغم ذلك لا تلتفت عنك عيناى، اشتاق دائماً إلى حديثك، وأحن دائماً إلى ضحكاتك، ولا أريد البعد عنك، فإذا ما أتى وقت الذهاب، أشعر بحزنٍ شديدٍ يجتاحنى، وخوفٍ رهيبٍ يهزنى، فقد لا أراك مرةً أخرى، فأذهب إلى البيت، وأشعر بطولٍ الوقت، وأنتظر الصباح بفارغ الصبر، فإذا ما أشرقت الشمس، عدوت إليك حيث نلتقى، أبحث عنك بينهم، وأسمع صوتك من دونهم، فتغمرنى السعادة ولا أدرى لم، ولكن ما أعرفه أن معك سرعان ما يمر الوقت.

كنت أرتدى ثوبى القصير وتصفف لى أمى شعرى لأصعد على خشبة المسرح وأكون الأميرة التى ينتظرها الأمير.. ليكون هو نفس الصبى الذى يقيم فى نفس الحى الذى انتقلت إليه حديثاً، ذلك الأمير الذى يتخطى الصعاب ويسافر البلاد لينقذ حبيبته ويحظى بها فى النهاية.. ينزل الستار، ويلتقط الصغار بعض الصور سويا، لتكون أولى الذكريات بينهم.

لم أكن أريد النزول من المسرح وانتهاء دور الأمير والأميرة، فقد كانت تعترينى سعادةٌ لم أعرفها من قبل إلا وأنا معك. شتت انتباهى بكل تحركاتك، كانت عيناى تتحرك معك أينما ذهبت، كل ما أفكر به أن لا تبتعد عنى. أتذكر عندما تقابلت أعيننا وكان كلٌ منا ينظر للآخر فاحمر وجهى وتزايدت ضربات قلبى وأخذت أنفاسى تتصارع فهربت بعيداً. أملاً فى أن أهدأ قليلاً، لكننى سرعان ما عدت إليك...

لم تكونى مثلهن، هكذا كانت تراك عينى، فكلهن يركضن ويلهون، ويصمتن ويتكلمن، ولكنى لا أرقب إلا حركاتك وسكناتك، وإشاراتك ولفتاتك، لا تسمع أذنىَّ سوى كلماتك، أتحسس أين تتجه نظراتك، أراك تنظرين إلى ولكن لا أعرف سر هذه النظرة، وتبتسمين ولكن لا أعرف معنى هذه البسمة، وإنما تعترينى سعادةٌ غامرةٌ فى كل

مرةٍ، عندما ترمقينى بنظرةٍ أو أحظى منك ببسمةٍ، فإن تواريت عن ناظرى، دارت عيناى فى الأركان، وأحسست بغيابك وحشة المكان، فعلمت بأن وجودك يشعرنى بالإطمئنان

صغارٌ كنا نسير فى الطرقات، تتشابك أيدينا ونضطرب خجلا، رأيتك فى حلمى وكنت كما أنت رجلاً صغيراً لا تخشى الطريق، دائم الشوق إلى، أحيتنى رؤيتك بعد سنوات لا أعلم كيف مرت بدونك بعدما افترقنا، لطالما حدثت عنك أمى بكلمات قليلة، ولكنها صادقة، فاعذر طفولتى، لم أكن أعلم أنها لا تمثل قدر حبى لك.

ما زلت أتحدث عنك مع صديقاتى وسأحكى عنك طالما حييت، فأنت ذاك الفتى دائم الخجل، يترك لى رسائل برسوماتٍ لنا نشيخ سوياً، كنت تقدم لى الحلوى فى كل صباح، وتأتى لتطمئن على، وتتساقط دموعك أمام الجميع، عند شعورى بالألم، تذهب إلى البيت وأنت تنتظر الغد بشوق، فإن لم آت فى الغد يزيد قلقك وتفعل ما لم يفعله صبى لتطمئن على، وإن حان وقت الاختبارات النهائية تبدأ المعاناة الحقيقية لك فأنت الصبى الذى يكره انتهاء المدرسة، أتذكر جيداً حين كانت آخر أيام لنا سوياً وكلماتى لك أنه فى يوم ما وزمن ما سوف نلتقى، فانتظرنى. أعلم أنه طال الانتظار، أما زلت تتذكرنى؟

يالها من ساعةٍ هذه إذا حان وقت الذهاب، كم تثاقلت أقدامى وتباطأت خطواتى، عندما ألمح طيفك خلفى، وكم كثرت التفاتاتى حتى أرى تعابير وجهك عنى، وكم كانت سعادتى عندما تقتربين منى، ويا لها من لحظة حين تتشابك أصابعنا فى براءةٍ، وتلتقى أعيننا فى وداعةٍ، ونمشى معاً فى سعادةٍ وطهرٍ، نردد أغانينا البريئة، ونحلم بأمانينا الجريئة، غير عابئين بالماضى، ولا مهمومين بالآتى، فإذا ما دنت ديارنا، افترقت خطواتنا، وارتفعت أيادينا بإشارة الوداع، تبسمت عيوننا، واحتضنتنا ديارنا، سكنت جوارحى، ولم تسكن أحاسيسى ومشاعرى، وأعدت نفسى للقائك فى الغد.

كنت تلك الصغيرة التى تهوى القصص الخيالية للأمراء والأميرات، كنت أقرأ الكثير ثم أحتضنها بعد الانتهاء منها، وأغمض عينيى وأرانى مثلهن وأتساءل دائماً؛ أهؤلاء الأحبة لهم وجود فى تلك الحياة؟ أم أنها فى القصص والخيالات فقط،! انتظرت العديد من السنوات لكى أعلم أنك ليس من الخيال، وأن حبك أقوى من تلك القصص التى كان الأمير يختطف فيها محبوبته على حصانه الأبيض، وينطلقا فى مختلف الطرقات، يمران معاً ويتحديان جميع المشكلات، وإن قابلتهما القليل من الخلافات، ولكن عند النظر فى عيون بعضهما تجد لمعة المحب لحبيبه

ويقترب القلبان، وجدت فيك ما هو أفضل من ذلك كله، وعلمت أنه لولا حبك ما كانت لى حياة.

وهكذا تتوالى الأيام ما بين فراق ولقاء، لا نعد العدة للغد، ولا نظن أن يغشانا البعد، وإنما نعيش الوقت، حتى إذا ما دنت لحظة يطول فيها البعد، يفرح بها الصغار، وينتظرها للراحة الكبار، امتزجت فيها مشاعرى، ما بين فرحٍ ورغبةٍ، وحزنٍ ووحشةٍ، وإن غلب عليها الحزن، وطال فيها الفكر، فقد كانت تمر بصعوبة علىَّ الليالى، فكيف وإن صارت أيام وليالى، ولكن سرعان ما تذكرت أننا نقطن فى نفس الحى، فالتقطت أنفاسى بصعوبة، ونظرت إليك، فرأيت فى عينيك نفس النظرة العجيبة، وكأنك تفكرين فيما فيه أفكر، فتبسمت وأخذت إليك أنظر، وببطء رفعت ذراعى ملوحا بالوداع، ويا لها من لحظة، ولكن هكذا الأيام، قل ما تجود بفرحةٍ.

نعم فقد كنت تلك الفتاة التى تستيقظ من نومها وترتدى ملابسها وتصفف شعرها بيديها الضئيلة وتذهب مسرعة -إليك- ! لم تكن تعلم أنها تحبك. أتذكر ذلك اليوم ؟ عندما ذهبت إلى مكان اللقاء ولم أجدك بانتظارى، بكيت، فكأنى أخشى مواجهة عالمى بدونك، انتظرت، وبعد وقتٍ مر على كأنه الكثير؛ رأيتك مقبلاً على وكنت أجهش فى البكاء

فامسكت بيدى محاولاً تهدئتى فتوقفت عن البكاء، وكانت الكلمات هى السكون .. لتمرالأيام وتبقى أنت ربيع قلبى، فحديثك الطفولى أشبه بغناء الطيور يسعد القلب الحزين.

وصرت فى أيام الإجازة ألهو بجسدى مع الصغار، وإن كانت لا تفارق خيالى الأفكار، تتجول عيناى فى المكان لعلها تصادف عينيك، دائما ما يرنو نظرى إلى حيث أنت، فتارة أرقب الباب، وأخرى أرقب النافذة، بل أرقب جميع الشرفات، لعلى أصادف إطلالاتك، أو أسمع بعض ضحكاتك، فإذا ما مرت الساعات، يداخلنى فقدان الأمل، ولا أدرى ما العمل، فلا مفر من الانتظار، فإذا ما انقضى النهار، وذهب إلى بيوتهم الصغار، أدركت أننى لن أراك، فبت ليلتى أفكر بك منتظراً إشراقة النهار.

أيامٌ لا تمر بدون رؤيتك، فتظل أنت حديث القلب. ذلك القلب الذى لم يمل منك قط ولا يعرف طريقه إلا بك. أتذكر آخر كلمات لنا سوياً وتلك النظرات الحزينة التى بدت على وجوهنا. لم أرك منذ آخر يوم دراسى لنا ولست على علم أين أجدك؟ أين ذهبت وتركتنى فى تلك العزلة! . أمضى الكثير من الوقت لا أفكر إلا بك، فتبدو كل تلك الأيام متشابهة إلى درجةٍ كبيرةٍ... فى انتظار الغد أملاً فى لقائك.

ثم توالت سنوات الطفولة، ما بين فراقٍ وانتظارٍ، ولقاءٍ ثم حرمانٍ، وما باليد حيلة، وهكذا انقضت سنوات الطفولة، وتغير بنا الزمان وصرنا صبايا وصبياناً، وانفصلنا فصار كل فى مكان، وخيم علينا الفراق والحرمان، وضاق علىَّ رغم اتساعه المكان، ووقف بى رغم جريانه الزمان، فلا أمل فى اللقاء إلا صدفة، ولا فى الحديث إلا برهة،، أخرج من المدرسة منتظراً مرور الصبايا، لعلى أرقبك بينهن فأحظى ببعض النظرات، أو تمنين على ببعض الابتسامات، وأسعدتنى رغم ندرتها منك تلك اللفتات، فإذا مررن انقضى اليوم ورضيت رغم حزنى بالفتات.

أيامٌ من المرح لم أحظ بمثلها من قبل، معك كانت كل الألعاب جديدة. كل شئ معتاد أصبح مختلفاً، تغير الكثير معك وتغيرت أنا. لم أكن أعلم أن بإمكان الأشياء أن تتغير، فإيجاد السعادة لم يصبح صعباً بعد الآن . أتقديم الشكر لك يكفى ؟

كنت أنتظر العام الدراسى الجديد وذلك شئ غير معتاد! لكن طالما أكون بجوارك أينما نكون تكون الأشياء أفضل، ولكن يخالطنى ظنون، وعقلى يزعجنى بكثرة سؤاله... أهو مثلك؟ أهناك سبيلٌ للحصول على إجابةٍ.. ام سأظل حائرةً؟، وحين جدتك واقفاً تلهو مع أصدقائك

ولا ترانى، فشعرت أنى أصبحت لك عدماً... حتى رأيتك قادماً نحوى تلقى التحية، مجرد تحية قادرة على إعادة البهجة لى. رؤيتك سعيدا تسرنى وتريح قلبى.. روحى ظمآنة ولن ترتوى إلا منك، ومهما شربت من عينيك لن أرتوى.

ثم توالت الأيام، وكلما مر يوم قل اللقاء، وزاد شعورى بالحرمان، وتغير فكرى، وانطلق خيالى، وتنامت بداخلى الأحلام، وحن قلبى لأيام الطفولة، وكم كانت جميلة تلك الأيام، حيث مشاعر بلا قيود، وكلمات تنساب كالأنغام، ثم تداركنى فكرى، وحادثنى عقلى، فلن تعود تلك الأيام، فإما أكتفى بالقليل من النظرات، وإما أبدأ بالكلام، ولكن هيهات هيهات، فقد صمت اللسان، وتحشرجت الكلمات، واكتفيت بالقليل من النظرات.

ولم أدر ما بى، وما فعلت بى الأوقات، فلم أكن كذلك فى وقت فات، أكانت جرأة الطفولة وبراءتها هى من تطلق الكلمات، أم ثقل اللسان عن الكلام كلما مرت الأوقات.

تذكرتك الآن، طفولتنا وأصوات ضحكاتنا الصاخبة، وأشواق نظراتنا التى كنا نختلسها من الوقت، تمنيت العودة لما كنا عليه فى حديقة مدرستنا، وجلوسنا سوياً، أشعر بحاجتى إليك، أشتاق لك وأتساءل

عنك، هل يمكننى الوصول فى يومٍ ما إليك؟، أخذتنا الطرق ولا أدرك سبيل الوصول إليك.

وتغير ما بيننا من أوقات، وطالت أيام الفراق، وما همنى الكلام، وقد أصبحت نادراً ما أحظى بالنظرات، وصرت أتحين السعيد من المناسبات، لعلنا نحظى فيها ببعض اللحظات، فإذا ما تلاقت العينان؛ احمرت خجلاً الوجنات، فلم نقو على النطق واكتفينا بالسلامات.

وتوالت الأيام، وتغيرت الأوقات، وتكونت لى الكثير من الصداقات، وضاق بى الحى رغم اتساعه، فلم أعد أقضى فيه الكثير من الأوقات، وتغير الفكر الطفولى، بعدما وسع العقل الكثير من المدركات، وصرت فى آخر الصبا، وأوشكت على طور الفتوة، وكلما مر الوقت ندر ظهورك، بل واختفت عن ناظرى رؤياك، واستسلمت، فهكذا تكون البنات، وانطلقت ألهو مع الأصحاب، ورغم لهوى لم يغب عن فكرى يوماً حديثك، ولا عن عينى ابتسامتك، ولا عن خيالى طيفك، وغالبنى الصمت، حتى وإن تعالت من حولى الضحكات، والعجيب أننى مازلت آمل لقياك ولو صدفة فاختلس القليل من النظرات.

لم أدرك حينها أنك قادر على أن تبعثر أوراقى، وتشغل قلبى، وتسرق روحى، حبك كالسهام التى تخترق القلب. لقد بحثت كثيراً عنك، ولم

أكن أظن أنه يمكن لقياك. أنتظر بلهفةٍ شديدة لكى أرى مجدداً عينيك، تلك النظرات التى تنقلنى إلى عالم آخر وينبعث منها ذلك الدفء الذى لم أشعر به من قبل. أشتاق إليك عندما أدرك أننا بعد دقائق سنفترق، تنسال منى الدموع ولا أدرك سبيل الضحك مجدداً إلا بك، أفكر فى اللقاء القادم وأشعر أن الدقائق التى تحول بيننا تظل كما هى. بك أشرق كل يومٍ، ولذلك سأكون دائما بانتظار الإشراقة القادمة.

وتوالت الأيام، وفارقنا مرحلة الصبا ودخلنا فى طور الفتوة، وكبرت داخلنا الأحلام، حين دبت فى أجسادنا القوة، وتنامى داخلنا الإدراك، وتغيرت المشاعر وكبرت كما كبرنا، ولأول مرة تكف نفسى عن السؤال، بعدما أدركتُ ما بى من حال، أدركت أنه الحب، نعم إنى أحب، أحبك، هكذا نطقها ما بينى وبين نفسى لسانى، معبراً بها عن حالى، ولكن..، كيف السبيل إلى قولها، وقد ندر ما بيننا الكلام، وعز رغم قربنا الوصال، فلا الصغار صاروا صغاراً، ولا الأحوال هى الأحوال.

كنت أنظر إلى ابتسامتك لأجد ابتسامتى، فأنت الخزانة الجامعة لى، فبداخلك كل ما يخصنى، قادر على صنع الفرق والتحكم بى، أنت الحياة لمن لا يمتلك الحياة، أحبك بعدد أكبر شىء يمكن أن يعد، بعدد

ما كتب من حروف، بعددٍ لم يتم الوصول إليه فى علم الرياضيات حتى الآن، أعلى إلقاء اللوم عليهم لأنهم لم يوجدوا تلك الحروف أو الأرقام القادرة على وصف ما أشعر به، أم ألوم نفسى على قلة حيلتى؟ اعذر جهلى يا عزيزى.

ومرت الأيام تتبعها الليالى، وتغيرت بعد معرفتى للحب أحوالى، فصار الحب دينى ومذهبى ووطنى ومآلى، وأصبح الحب طريقى، منه انطلاقى وإليه سفرى وترحالى، وإن كنت مازلت بعد لا أعرف طريقاً للوصال.

استسلمت لأمرى وتوالت أيامٌ من الحرمان، ما عدت أراك وما عدنا نلهو كما قبل.أبحث عنك بين وجوه الصبية ولا أجدك، لا يعرف القلب غيرك،ولا ترى الأعين سواك.

تعرفت على أصدقاء جدد واندمجت معهم كما أنت، ولكن لا يستطيع أحدٌ أبداً بأن يكون مثلك، كلماتك التى تخرج من فمك بعذوبة، فسرعان ما أذوب فيها، نظرات الشجن فى يوم الفراق، لهونا سويا ... كل ما حدث اذكره جيداً .

غارقةٌ أنا فى أفكارى الحزينة متمنيةً أن أراك أمامى مبتسماً فيطير قلبى فرحاً وأسعد لرؤياك، ابتسامةٌ منك قادرةٌ على تغيير ما بى وتبديل سوء أمرى... فمتى اللقاء ؟

انشغلت فى عدة أمورٍ لكنى لم أنشغل عنك قط. كنت قريبا فى بعدك، فكان أملى يتجدد فى كل يوم، أملا فى اللقاء، أملا فى الغد.. ولا يأتى الغد. آه ياحبيبى من عذاب الحُب ولوعته، آه من الشوق وحيرته.

وعلى غير عادة فى يوم من الأيام، دق الباب ففتحت، فإذا بك أمامى، بنفس البراءة فى عينيكِ، والبسمة فى شفتيك، والحمرة فى خديك، وإن زاد الجمال بتغير البنيان، فتاه فكرى، وشخص بصرى، ودق قلبى،وتردد فى داخلى الكلام، وإن ساد صمتى المكان، قبل نطقك بالسلام. وقد تغير صوتك، وصار كالأنغام، فرقصت دقات قلبى على تلك الأنغام، وألهانى سماعها عن معنى الكلام، فطلبت الإعادة، كسامع فى مجلس طرب أخذت لبه الألحان.

وصار حديثك إلى قلبى يسرى، فهِمت فيه شجنا وكأنه أنغام سحرتنى، وعن معنى الكلام أخذتنى، ثم أفقت على كلمات أعادت لى عقلى، "أريد الذهاب معك للدرس ليلا؛ أتصحبنى؟"، وكأن الزمان أعاد لى ما أخذ منى، وكم تمنيت ذلك، ولكن ما نيل المطالب بالتمنى، فأومأت بالموافقة، فقد ذهبت كلماتى منى، وأين صوتى من لحن صوتك الأغن، وأدركت يومها أن الوصال قد عاد ما بينك وبينى، وأن قد عادت إلينا صحبتنا، فهل تكون كما كانت طفولتنا؟

ثم مضيتِ، وما غبتِ عن ناظرى حتى اختفيتِ، وما أغمضت عنك لحظةً جفونى، أصحيح ما أرى أم سبحت فى الخيال عيونى، أحقيقى ما سمعت أم جُن من فرط العشق جنونى، آه، متى ينقضى هذا النهار، أو ليته لا يكون، وكم سمعت عن طول ليل العاشقين، وفراق النوم للعيون، وقد فاق ذاك النهار عندى دهراً طالت لياليه وأيامه وسنينه، وما استطعت عليه صبراً، إلا لعلمى بأن الليل لابد أن يكون.

ترددت طويلاً قبل الذهاب اليك، فكان الخوف مسيطراً والهدوء غائباً. كنت أخشى رؤيتك فتظهر على وجهى علامات الشوق أو توضح لك اضطراب خواطرى، فكانت الأفكار تتضارب فى عقلى والضوضاء تزداد بداخلى كلما اقتربت خطوةً لمنزلك ... حتى رأيتك فسرعان ما نسيت كل شئ وساد الصمت فى المكان وأصبحت الكلمات تنساب منى بسهولةٍ وتلمع عينى فى سعادةٍ، وأدركت حينها أن الحب أمانٌ وسكونٌ وراحةٌ لكل خوفٍ . أدركت حينها أن وجودى ينقصه وجودك فبك أكون وأكتمل . فأنت النور فى العتمة والبسمة أثناء العبوس، لطالما وجدت براحاً فى النظر إليك، فالنظرة تخطفنى إليك، ومن لى سواك. سعادةٌ غمرت قلبى وراحةٌ لم أشعر بها منذ فترةٍ طويلةٍ بعدما علمت أننا سنلتقى من جديد فى يومٍ محددٍ لنا..سيكون

اليوم المنتظر. قضيت ليلى أفكر بك وكيفما سيكون لقاؤنا!؟.... ولم أجد إجابةً كالمعتاد.

ثم جاء الليل بعدما ظننت ألا يأتى، وهبت على نسائم حب قل أن تهب، فعلمت أنه أنتِ، فوقفت بالباب لأرقب خطواتك حين تمشى، حتى أضاء سناك الليل حين على هللت، فبددت أنواره ظلمات الخوف فى نفسى، وروادنى أملى، وفارقنى يأسى، فلمحةٌ من سناك لإضاءة الكون تكفى، ثم رقصت دقات قلبى حين إلى نظرتِ، وخلت شمس النهار قد عادت حين تبسمتِ، وفى حديثك هامت روحى حين علىَّ سلَّمتِ، وكأنه لحن حبٍ فى الأكوان يسرى، ثم مضينا وكأنك عصفورةٌ تسكب الألحان على إلفها فى ليلة أنس، كم تمنيت حينها أن أقولها، ولكن كعادتى فى حضرتك يغلبنى صمتى.

كان صوتٌ يتخلل سكون الليل بأغنيةٍ لأم كلثوم، صوتها والكلمات مع الألحان تبرز مابى من حنان، لأتذكرك. فكلما فكرت بك تنسال منى دموعٌ أجهل سببها، لكن ربما تكون للغياب؟ وربما للشوق؟ وربما لأننى أحببتك منذ البداية. كان ليلٌ طويلٌ لا يمر وكأن الوقت يمنع ذلك اللقاء، ساعاتٌ لاتنقضى على غير عادةٍ، فكنت أرقب عقارب الساعة التى كانت لا تتحرك حتى أصبح العالم حولى عدواً يحارب لقاءنا.

ثم انتظمنا ليلاً فى موعدنا، نمضى سوياً، تسبقنا بالحب فرحتنا، فإن جلسنا ترقبك عيناى فى جلستك، وإن تحدثنا لا تسمع أذناى إلا كلمتك، هكذا حتى رحلة عودتنا، كم ضحكنا فى تلك الليالى وكم لهونا، كم تسامرنا سويا وكم تناجينا، وكم نسينا مَن حوالينا، وفى كل شىء تحدثنا، إلا أننا عن حديث الحب تناءينا.

كنت أنتظر موعدنا بلهفةٍ وتمنيت لو يصبح ذلك الميعاد يومياً وتصير رؤيتك عادة، ولكننى رضيت بقليلى وبتلك الدقائق التى نمضيها سوياً نضحك ونتحدث ونختلس بعض النظرات فى صمت .. ومنذ تلك الأيام ما عدت أتمنى غيرك.

وتسارعت الأيام، يومٌ يسابق يوماً، وصرت أتنفس عشقاً، أكتمه فى قلبى من العزال خوفاً، وإن باحت عيناك لى به بوحاً، وارتسم على شفتيك فسمعته همساً، فالحب ظنوه الكبار وقتها لنا عيباً، وإن صرَّحنا به عدُّوه لنا ذنباً، فآثرت الكتمان على الحرمان، على أمل أن يسعدنى الزمان فأبوح به يوماً، وقد كفانى وقتها أنى أذوب فيك عشقاً.

كنت أرغب فى قصة .. رواية حب مثل التى قرأت عنها . أردت اعترافاً منك بذلك الحب الخفى، ومضت أيامٌ وليالى أحلم بذلك اليوم الذى لا يأتى ! وأنتظر ويطول انتظارى. تمنيت لو كنت أنا الصبى

فأذهب بجرأةٍ الى محبوبتى وأعترف لها. وكعاداتى تنهدت من تلك الأفكار، وعدت إلى واقعى المؤلم الحزين، وأن قصتى قصة غير مكتملة، وأن الفراق فى انتظارنا.

ومضت الأيام، واقتربت نهاية العام، ومن فرط سعادتى لم أشعر بها، ولم أدر ما سيكون بعدها، وكأننى فى غفوة تحلو فيها الأحلام، ولكن يا ليته طال المنام، فما أفقت إلا وشبح الفراق يخيم علينا فى آخر الأيام، أيام اللقاء وكم كانت جميلة تلك الأيام، واغرورقت بالدمع عيناى، وكادت تفضحنى، وثقلت قدماى ولم تقو على حملى، وارتعشت يداى فلم تقو على السلام، فشخصت بصرى نحوك، وكأن ما فى الكون غيرك، ودار فى خلدى حكايات الغرام، وما يقاسيه المحبون من فراق وهيام، فهل أصبحت منهم وهذه هى البداية، أم أنى لست منهم وهذه هى النهاية، لست أدرى ماذا ستسفر عنه الأيام.

والغريب أنى أدركت يومها، بأن الفراق سوف يطول، وداخلنى قلق ما له عندى مثيل، ولكن ما باليد حيلة، ولا إلى غير الفراق سبيل، فما زلت أنظر إليك، حتى تواريت عن ناظرى واختفيت، فلا البكاء على الفراق يعين، ولا الصمت إلى اللقاء سبيل، ولا الحديث يذهب همى، ولا ابتسامى يذهب حزنى.

يامن تركتنى فحزن قلبى وفارقتنى روحى .وقفت بين مفترق الطريق وحيدة لا أدرى سبيل العودة إلىَّ... و لا أعلم إن عرفت الطريق الصحيح؛ أأستطيع الذهاب فيه وحدى ؟ أيمكننى أن أكمل حياتى بدونك، فإننى أبدو كالغريب فى موطنه، لم يعد لى أحباب وأصدقاء. على الرغم من أنك تركتنى ورحلت لكننى لا أرى سواك ولا أفكر إلا بك. لا تقبل الحياة أن تكون حياة بدونك، ولا ترى العين سواك. عد لى أيها الغائب..فإنى أغفر لك كل خطاياك رغم أن وجودك هو الخطيئة.

وهكذا مر عامُ، لا أدرى كيف مر، ذقت فيه الفراق، وأيقنت أن ما منه أمر، وذقت لهيب الشوق للحديث إليك أو السماع أو النظر، وذقت طول الليالى والأيام ما بين حديثى لنفسى وبين الفكر، هل ألقاك يوما أم بالفراق حكم القدر، هل أنا المشغول بك، أم أن بك ما بى، أم أنك لا تبالين بالأمر، أم أنا من بات الليالى وأدمن السهر، آه من طول الليالى ومُر الفِكَر، وآه كيف ينصح الخالى العاشقين بالصبر.

فى كل يوم لنا يتجدد حبنا ويمر الوقت بنا مسرعاً لنجد مراحل عمرنا قد مرت سريعاً، لا نعلم ما ومتى النهاية، لقد توقفت عن طرح ذلك السؤال الذى يشعل القلب لهيباً. أوقاتنا التى مرت بحزنها

وفرحها ذهبت ولا أدرك إن كانت ستعود فى يوم ما. ما عدت أراك ولا أعلم أين ذهبت.. لكننى بأملٍ فى العودة أنتظرُك لكى أعاتبك بأشد الكلمات ترحيباً بك وشوقاً لكَ. فبعد تلك السنوات أدركت أننا خلقنا لنفترق ويذهب كل منا فى طريقه وأن الحزن كُتب علينا فى كل يوم وكل ساعة بل فى كل دقيقة. وكأن الوقت متوقفٌ على اللقاء القادم...

ثم مر عام،عانيت فيه من الوحدة ما عانيت، و قاسيت فيه من الفكر ما قاسيت، أدعوها؟، وهل تلبى إذا دعوت؟، أم أنتظر وأصمت، وبماذا يفيد الصمت، وصرت أبيت فى مقام الحيرة، وأصحو فى مقام الشوق، وكأنى أرجو أملاً بعيداً، لا ينال إلا بطول صبرٍ، وأدركت حينها آهات قيسٍ حين فارقته ليلى، وحرقة عنترة عند فقدانه عبلة، وإصرار كُثيرٍ على وصل عزة، وبكاء جميل على بعد بثينة، فكلهم قاسى ما قاسيت، ولكنهم باحوا بحبهم؛ وكتمت.

تيقنت بمرور السنوات أنك لست جزءاً من الحياة بل أنت الحياة نفسها، وما الدنيا سواك؟؟ رغم اختلافاتنا الكثيرة ومجادلاتنا المستمرة إلا أنى أعشقك أعشق الحياة . يتجدد حبك فى كل صباح ومع كل لقاء وينتعش القلب لهواك.تختفى الأنوار بغيابك وتعود ظلماتى فتنطفئ

نفسى وتغيب روحى. أنت ميزة حياتى وبهجتها، راحة نفسى وسكونها فلن يكتمل طريقى إلا معك، ما عاد يمكننى تحمل شقاء الدنيا وعذابها إلا بك فأنت الدواء لكل داء والهدوء لكل ضوضاء.. فلا تغب.

عام آخر مضى على وحدتى، فارقتنى فيه ضحكتى، وفقدت فيه بسمتى، ولولا الملامة لسال دمعى على وجنتى، ألهو نهاراً -إن استطعت- مع صُحبتى، فإذا جن الليل رافقنى خيالك فى وحدتى، وجافانى النوم وفارق مقلتى، فجاهدت نفسى كثيراً؛ حتى أتم دراستى، ولولا شوقى إليك وحرصى على أن أراك ما تمت، فقد ألقاك يوما فى الجامعة حيث تتلاشى القيود، وتسود الحرية، ولكن هل يفارقنى صمتى حينها؛ أم أصرح بما فى قلبى لك حبيبتى؟ تمنيت الأيام تأتى كما أظن فتحقق لى أمنيتى.

الشتاء الأول بدونك... تعلم أن الشتاء يمثل كل مخاوفى وأنك مفتاح الأمان لى. تعثرت بدونك ولم أجد طريقاً للهرب كما كنت أجد دائماً معك. أين أنت؟ رحلت وتركتنى فى منتصف الطريق المطر يغمرنى والأيام تتقاذفنى. فُتحت خزانة الوحدة وتركت نفسى لأحزانى وما عدت أبالى، فإن لم تكن لى فمن لى!؟ تغير كل شئ حولى ما عدا سهم حبك فى قلبى. لم يتبق لى سوى ذكرياتنا فى كل مكان على كل شئ، فلما الغياب!؟

وتوالت الأيام، وشحذت همتى، وأخرجت كل ما فى جعبتى، لعلى أبلغ منيتى، حتى حانت اللحظة، فوقفت ما بين انتظارى وترقبى ولهفتى، حتى تحققت أمنيتى، ونلت درجتى، وعادت لى بسمتى، وذهب خيالى يسأل عنك حبيبتى، هل نلت ما تمنيت، فيسعدنا الحظ يوما ونلتقى فى صحبة، سألت كثيرا ولكن لم أحصل على إجابة.

أولى الرسائل لحبيبى الغائب: تلك ليست أول أيام الفراق والوحدة، لكننى لأول مرة أكتب لك بحروف من دموع عينى التى لم تجف منذ أشهر، أكتب لأعبر لك عن أشجان قلبى، فقد تخفف الكلمات الألم. سئمت رحيلك سئمت اختفاء سعادتى بدونك، ألم تعلم أنك مفتاح الراحة والسكون. لم أكن أطلب سوى رؤيتك سعيداً لأسعد. كثيرٌ من الأشياء إن لم تكن كلها متعلقة بك.. فماذا أفعل! لم أستطع أن أكمل فتلك الرسالة تُظهر كم أنا ضعيفة.. هكذا دارت فى عقلى الكلمات فقطعت الورقة لأبدأ رسالة أخرى أظهر فيها أقوى.

وهكذا توالت الأيام وشغلتنا الحياة بين فرح وعبس .. ولكنك لم تفارقنى قط رغم محاولاتى الفاشلة فى النسيان فكيف بأمكانى نسيان نفسى ! لتصبح سنوات عمرى التى مضت بدونك هباء ووقتاً ضائعاً.

حتى اجتهدت وصبرت حتى أحظى بما أريد.. و جاء اليوم المنشود فشعرت بخوف لا يماثله شئ، فكنت مرتجفة القلب شاحبة الوجه، خوف مضاعف لى ولك... حتى نلت درجاتى وسعدت باجتهاداتى لكن الفرحة لم تكتمل بغيابك .. وتساءلت: أحظيت بما تريد؟ أسعدت بما نلت؟ ولكن الحياة أقدار مكتوبة ونهايات مفتوحة.. فكلنا نعانى ولكننا صامدون.

مرت سريعا الأيام، ودخلت كليتى، وياه يومها على فرحتى، وسعادتى بين صحبتى، ونشوتى عندما جلست فى مقعدى، وسرعان ما دارت فى جميع الأركان نظرتى، وشعر الخلان ببحثى ولهفتى، وكأننى لم أحصل على بغيتى، فجلست ساكنا فى مقعدى، تكسو وجهى بسمتى، ويشعر قلبى بالحزن، وكأنى فقدت أحبتى، حتى انتهى يومى وعدت على أمل اللقاء فى العودة.

ومر اليوم يتبعه اليوم، يمنينى القلب برؤياك، وينهانى العقل عن فقدان الأمل، فلن يؤخر إن فقدته، ولن يقدمنى العجل، وإنما لكل كتاب أجل، فتركت العجل وتشبثت بالأمل، وانتظرت ذاك الأجل.

لم تختلف الأجازة كثيراً عن السابق، فكنت شاردة وحيدة مشتاقة، حبيبة لم يعلم أحد بوجودها.. حتى أنت. فكانت أيامٌ مريرةٌ ثقيلةٌ على

القلب، أمكث فى البيت كثيراً فتقل فرصة اللقاء بك! ياويلى من ذلك اللقاء الذى كنت أعلم أنه لن يتم.. فتلك الأشياء لا تحدث سوى فى القصص والروايات ... لكن دائماً ما كان يحدثنى قلبى أن أنتظر.. فأنتظر.

وبمرور الأيام تأكدت أن ليست كل إشراقةٍ مبهجةٍ... فأننى نلت ما أردت واندمجت فيما طلبت متمنية لك المثل، وأخذتنى الأيام وتعرفت على أناسٍ جددٍ وتعودت على تنقلٍ جديدٍ، لكن ظل لغيابك أثرٌ كبيرٌ! لم تغب عنى يوماً وأملت أن أراك مجدداً لتعود أيامنا كما فى السابق لكننى لم أدرك حينها... أن الماضى لن يعود، وأيقنت أنه لا محال من تلك النهاية.

وفى يوم على غير عادة، أشرق النور بزيادة، وهبت نسائم عطر غير معتادة، وسمعت صوتك يدعونى، فرقصت على أنغامه دقات قلبى، وانتشت فرحا وسعادة، فالتفتُّ، ولم أدر يومها أرأيتك بنور عينى، أم غمرنى نورك فلم أر غيرك من عباده.

دائما ما كنت أسير فى الطرقات أحدث نفسى عنك وأتمنى لو كنت تسير بجوارى الآن .. حتى وجدتك !! أحقيقة أن الصدفة خيرٌ من ألف ميعاد. ضحكت بتعجبٍ على تلك الأقدار الغريبة، فهذا أنت حقاً أم شبيهك ولكنه كان أنت . وجهك الطفولى الذى رأيتك به أول يوم

مازال يمثلك، وتلك الأعين الممتلئة بمزيج من الحنين لم تتغير ماعدا ذلك فقد نضجت وازدادت وسامتك.لَم أكن أصدق ما أسمع.. تناديني... وتقابلني بتلك البسمة المرحة، فإذا يعود لي شعور الأمس مجدداً وتشرق الشمس مرةً أخرى فأرى الحياة مرتدية لوناً جديداً وتُرسم بسمةً على وجهي كنت افتقدتها كثيراً. لتعود أيامنا...

كم قرأت في طفولتي عن العوالم المسحورة التي تحقق الأماني رغم صعوبتها، فتنتهي بالسعادة للجميع والنيل بما يرغبون. . وكانت بالنسبة لي مجرد قصصٌ خياليةٌ.. حتى رأيتك، فكنت أنت عالمي المسحور وقصتي الحقيقية وأماني المتحققة.

وتغيرت بعدها الأحوال، فلم تفارقني البسمة، وملأت قلبي الفرحة، فها أنا معك في كل مكان، نقضي أوقاتنا بقدر الإمكان، لا نخشى نظراتهم، ولا يرهبنا حديثهم، ولا يأسرنا قيدهم، كم كان يسعدني انتظارك حتى تنتهي ساعاتك، بل كنت أتعجل ساعاتي حتى تمر وألقاك، ويالا سعادتي حين رؤياك، ففي كل مرة وكأني أول مرة أراك، تغيرت ملامحك، فصارت أجمل، وتغير حديثك فصار أعذب، تغير فيك إلى الأجمل كل شيء، وتغيرتُ، إلا عن صمتي حين أراك أن أقول: أحببت.

منذ لقائنا الأول الذى لا أتذكر كيف مضى وأنا خائفة ! .. فماذا إن لم تكن أحببتنى مثلما أحببتك؟ ماذا سأفعل إن كنت بالنسبة لك ذكرى ولم تُحيا بعد... وإلى متى سيعذبنى حبك ويرهقنى شوقى؟

ومرت أيامٌ تجمعنا - أيامى- وغاب الحزن عنى فما عدت سوى أبتسم ولا تفارقنى الفرحة وعادت لروحى روحى، فنحن سوياً، نجتمع كثيراً ونقضى أوقاتاً ممتعةً، ولا نهتم بما يقال ولا نكترث لحديثهم، حتى أننى تغيرت ولم تصبح تؤثر بى سوى رؤيتك، أسرنى ذلك الحب، كنت أحسب الساعات لأراك حتى نجتمع وعندما نصبح معاً يمر الوقت كالدقائق، وإن لم أرك أقضى ليلى أفكر بك ونهارى مشتاقة اليك، فعذبنى ذلك الحب الذى مهما شربت منه لا أرتوى.

واستمر صمتى، وإن تغير وقتى، فنهارى كله معك، وفى ليلى أنتظر النهار يأتى، فإذا ما أشرق الصباح أسرعت إلى حيث تأتى، وكم كنت أقلق إن على تأخرتِ، ثم أمضى إلى حاجتى وتمضى، حتى إذا ما انتهت إليك عدت، وكم كنت أعشق غروب الشمس، وأرقبها دوما فى ذاك الوقت، فأصبحت أرجوها منذ التقينا ألا تمضى، فغروبها لحظة فراقنا، وكل إلى بيته يمضى، فصار شروقها أحب الأوقات إلى نفسى.

دائما ما يقال أن "دوام الحال من المحال" والحق معهم فى كل شئ سواك –أنت– . فقد بدلنا الزمان وجرت بنا الأيام، وتنازلنا عن أشياء وأجبرنا على أخرى، ورغم كل شئ ورغم ذلك العمر الذى مضى لم يتبدل حبك قط، ولم ينقض مثل الأشياء الأخرى . أتعجب من حبٍ يسكن القلب هكذا ولم يتخلله ضعفٌ، أو تصيبه بعض الكسور رغم الفراق، أتعجب منى عندما أحدث أصدقائى عنك كثيراً، فيصابون بالدهشة فى كل مرة من فرط ذلك الحب الخفى . كنت أراقبك بحذر وأبحث عنك دائما ... فقد أسرنى حبك كليا .

هكذا كان أول عام، ما بين فرح ومرح وابتسام، وسعادة وألفة ووئام، وأمل فى المستقبل، وأمانٍ كثيرة وأحلام، قليلاً ما يروننى وحيداً بدونك، فإن رأونى كان عنك الكلام، وكأنى ما عرفت معنى السعادة إلا فى تلك الأيام. حتى دنت نهاية العام، فتذكرت ما قبلها من أعوام، وتذكرت ما فى البعاد من آلام، فكسا وجهى الوجوم، وفارقه الابتسام، وتغيرت نظرتى إليك، ولكن كعادتى صمتٌ عن الكلام.

حتى جاء آخر يوم فى العام، ووقفت أنظر إليك، لعل لسانى بالكلام يجود، وطال النظر حتى احمرت منك الخدود، وكأنك عرفت مابى من حال، فقلت لى سنبقى على اتصال، أدركت يومها فقط أننا ما عدنا

صغاراً، وقد أصبحنا أحراراً، فقد أزيلت كل السدود، وتحطمت كل القيود، ومازال صمتى بلا حدود.

حتى انتهى العام الأول، وجاء وقت الوداع، فتمنيت لو تحدثنا حديث العشاق و تهامسنا عن الأشواق.، حتى تلاقت أعيننا مفصحة عما نشعر فلم تفارقنى حمرتي، وشعرت كأننى سندريلا أمام أميرها .. وأخبرتك حينها أننا سنبقى على اتصال وأدركت أنت ما بى من حال، وتأكدت حينها أنك تبادلنى الشعور وأن الوقت بإمكانه الإفصاح فى يومٍ ما.

وهكذا مرت الأيام، تتلوها الأعوام، ما بين لقاءٍ وفراقٍ باطمئنان، وما بين صمتٍ - أحيانا- وكلام، ونظرات يملؤها الغرام، وأبدا ما قاربنا الخصام، حتى ظننت من جمالها أننا نعيش فى أحلام، كم تقاسمنا أعذب الحديث، وأجمل الأحلام، وكم طال بيننا الكلام وكأنه أنغام، إلا عند حديث الحب، فكأن ألسنتنا لم تخلق للكلام.

حتى جاء يوم لم يكن فى الحسبان، وتمنيت أن يتوقف عن المرور الزمان، فها قد انتهت الأيام، بل مرت الأعوام، وعاد الزمان كما كان، وسيصبح كلٌ فى مكان، فلم أدر أهذه هى النهاية، أم ستكون البداية، لست أدرى، وتوقفت طويلا أحادث نفسى، ماذا لو قلتها وانطلق بها

اللسان؟، ماذا لو صرحت بما أسره فى قلبى من زمان؟، أما آن للصمت أن يتحطم، ولحديث الحب يسلم، آه يا قلبى كم تتألم.

متى انقضت تلك الأعوام !! تساءلت فى خوف من المستقبل: أتلك بداية لحياة أفضل، أم نهاية لأفضل حياة ؟ وأيقنت أن الإجابة لديك، وأن الأمر لك، لتقرر لنا ما سنصبح عليه، فأنا انتظر بقلب لا يعلم إن كنت ستخذله أم ستسعده، واااه من عذاب الانتظار .

وهكذا طال على ليلى، ولم تذق طعم النوم فيه عينى، ولم يسترح فيه فكرى، حتى بزغ الفجر، ولم أتدبر أمرى، ما بين بوحى وصمتى، فإما البوح والقبول فتكون البداية، وإما البوح والرفض فتسدل ستار النهاية، ويا لها من نهاية، وأخيراً قررت هدم جدار الصمت، ورفع ستار الخجل، وتحليت بالأمل، وانطلقت إليك على عجل.

وما إن لاقيتك إلا وتوقف عندى الزمان، وتلجلج فى فمى اللسان، ولكن سرعان ما حدثتنى نفسى، إما التصريح بالحب، وإما الفراق وتحمل آلام القلب، ماذا تنتظر أيها المحب؟، أتريدها أن تبدأ بحديث الحب، ما عهدنا ذلك فى قصص الحب، هيا أخرج ما أخفيته زمناً فى القلب، أتشك فى حبها لك، أم تخاف من بعدها عنك؟

وسارعت بنا الأيام ومرت بين حبٍ وحنانٍ، أو قلقٍ وحرمانٍ. كانت أعيننا تكشف أسرارنا وتفصح عما فى قلوبنا رغم صمت ألسنتنا. كنت أخشى بعدك رغم ودنا، فكانت أيامنا عذبة كالماء لا يخالطها الخصام، فتخيلت نفسى أعيش فى أوهام، ولكن كل شئ كان يبدو معك حقيقياً كما فى الأفلام.. فتقاسمنا الحياة و تعاهدنا على البقاء.. وسارت أمورنا على ما يرام، ورغم ذلك لم تُصارحنى عن الغرام.

وتوقف حديثى لنفسى، حين سمعتك تسألين، برفق وإلىَّ تبتسمين، وكأنك لحديث نفسى تسمعين: أن بُح بما تخفيه، فكأنك فتحت لى بابا أغلقته على نفسى من سنين، فقلت: إنى أحبك، حباً أخفيته من سنين، قد ملأ قلبى وفاض حتى عرفه العالمون، حباً لم يعرفه أى من العاشقين، ولن يدركه أبداً خيال العارفين، حباً لو وزع على أهل الأرض لوسعهم، ثم فاض على ملائك رب العالمين، فماذا تقولين؟ فرأيت بسمتك فى عينى، وسمعت صمتك بقلبى، فأدركت يومها بأن الصمت لغة العاشقين.

صارحت نفسى عن حقيقة شعورى وإنَّ صمت الحب لن يدوم، فإما المصارحة بذلك الحب او الهرب وتحمل آلام البعد... فكنت فى حيرة من أمرنا، وطال بكائى على أحوالنا... حتى جاء موعد لقائنا،

وقلق القلب خوفاً من بعدنا. كان لسانى يسترسل كلاما دون علمى، ودون إعدادٍ له وخططٍ مسبقةٍ كما أفعل دائما... خجلت عندما أدركت ما فعلت، وخشيت من ردك حينها، ولكنك أخجلتنى بكلماتك، وطمأنتنى بنظراتك، حينما اعترفت بحبك وصارحتنى بغرامك، فسعدت بحديثك بعد كل ذلك الوقت، ولكن مازال صمتى يسيطر على وحمرتى لا تفارقنى، فلم أكن أستطيع سوى الاستماع لك، والاستمتاع بكلامك، وأدركت أن الحب ليس كلاماً فقط فالحب لغاتٌ متعددة أهمها الصمت.

تمنيت يومها ان نتبادل الحب كعصفورين لا يرغبا سوى بالتحليق معاً متعاهدين على إكمال الرحلة معا، وأن تنسجم قلوبنا هكذا دائماً، فأشعر أنك أبٌ حنون وخوفك كأخٍ ثائرٍ وحبك كعاشقٍ هائم.. كل شئ بوجودك يتبدل، ولا تفارقنى معك البسمة ولا تخالطنى مخاوف اليقظة. فأصبح معك على غير عادتى، حتى أننى لا أشعر بحريتى إلا بجوارك ولا بهدوئى إلا برؤيتك... فما أجمل الحب!

وتغير الحال، وأصبحنا عاشقين،وكم كنت أرى حبيباً يرنو بعينه لحبيبٍ، فى مشهد عن عينى أبداً لا يغيب، ويا لها من مرةٍ، حين تلاقينا كعاشقين أول مرةٍ، وكأن النيل يرقص فرحاً بقدومنا، والأنسام تعزف

على أوتارها لحن حبنا، والموج يتناغم معها فيردد ويجيب، وكم كنت أعشق جمال الشمس حين غروبها، فلم أرى مثل جمالها ونحن معا فى المغيب، فما زلت يومها أرنو إليك حتى أملأ عينى من هذا الجمال العجيب.

وتعددت اللقاءات، وتجملت ونحن معاً الأوقات، لا نرى فيها إلا أنفسنا، ما بين فرحٍ وابتسامات، وحديث حبٍ، وأحر النظرات، فسبقنا بحبنا العشاق، من بقى منهم ومن مرت عليهم الأوقات، ولم يبق فى روعنا من شىء، إلا انتظار أن تتبدل الأحوال ونبقى معا فى كل الأوقات، ولم يكن عنا ذلك ببعيد، فكل قريب آتٍ.

تلاقت روحان، واجتمع قلبان، وتشابكت الأيدى، وتعاهدا سويا ألا يفترقا، لتمر بهما السنوات، ويظلا بعهد الحب أقوى، فنحن معاً فمن يفرقنا .. شهد الله على ذلك الحب الذى اقتحم قلبينا منذ الصغر، وكبر معنا حتى سكن الروح، نمر بالصعاب، ونخوض التحديات ونتلقى الضربات التى من شأنها أن تفرقنا، ولكن قوة الحب لا يمكن أن تخالطه ضعف أو فراق، فعمرٌ ما بيننا قد مر وعمرٌ قادم ينتظرنا...

وجاء اليوم الموعود، لنفى بما علينا من عهود، وشحذت همتى، واصطحبت أهلى وصحبتى،تصحبنا آمالى وفرحتى، لعلى بهم أنال

بغيتى، هكذا لابد لقصص الحب أن تنتهى، ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، وليس كل من رأى حلماً يحققه، وإنما للحب أشياء أخرى تسانده، هكذا أدركت حين عدت خالى الوفاض، فلا حققت أملى، بل وأدركت صعوبة المراد، ولم أدر يومها ماذا أفعل، وبدوت وكأنى لهموم الدنيا أحمل، كدت أن أبكى، فما فاضت عيناى لعلمى بأن البكاء لا يجدى، فصرت وحيداً أذكر ما مضى، شريداً بلا هدى، أهكذا ينتهى أمرنا؟، أم أن الفراق هو قدرنا؟

ما فراق الأحبة إلا قهر للقلوب وكسرة للروح.. فتهون الحياة ويضعف الجسد، وتصبغ كل الأشياء باللون الأسود. الفراق مثل ليلك يابحر قاسٍ وشديد، مثل موجك العالى وصوته الجبار.. رغم كل ما فيك، ورغم ظلمتك إلا أننى لا أرغب فى البكاء إلا معك، ولا الشعور بالراحة إلا بك.. فأنت قادر على تغيير ما بى، وعلى تقبل شكواى وحزنى، فما وجدت غيرك يتحملنى ويجيبنى.. يكفى النظر إليك، والاستماع إلى موجك، حتى أشعر بالأمان والاطمئنان، وكأنك تجذب طاقتى السلبية وتبدلها بحنان لا يماثل. فهل تقبل بى لأكون بجوارك دائما؟

ومن ذا يقبل حبيبتى ألا يكون بجوارك، يلقى برأسه على صدرك الحانى، ويرتشف من لمسات حنانك، فكل صعب يهون إلا فراقك،

وكل شديد يلين إلا بكاؤك، فدعى عنك شبح الفراق، فكسر الروح لا يُجبر، ودعى عنك آلام البعاد، فقهر القلوب يحسر، فلقاؤنا قدر ومن ذا على مجريات الأقدار يقدر، وإنما بالجد و الهمة وحسن الظن بالله؛ معا نقدر، فعلى الله جبر خاطرنا، وما علينا إلا أن نصبر.

يقولون عنك الكثير ولا أهتم، عاملونى بجفاءٍ لشدة تمسكى بك ولم أكترث . ليتهم يشعروا بنا ليعلموا قدرك بداخلى، أو ما تمثله لى . يريدون سعادتى وهم يحرموننى منها، لا يرغبون فى رؤيتى أتألم، وهم سبب كل ألم بداخلى، لكننى أنتظر أن نعود، وأثق أن لكل حزنٍ فرح، ولكل فراق قرب.

وتغير الحال فى تلاقينا، وكاد الدمع أن يغلب أعيننا، فصار اللقاء حزينا، وموج النيل ثقيلا، والغروب يأسا، وأمطار السماء تبكينا، وصارت أماكن الحب ملأى بالحزن عند تدانينا، وساد الصمت واكتفينا بنظرات تعبر عما فينا، إلا كلمات قليلة تخرج حزناً فى القلوب دفيناً، ولكن لابد للقلب ألا يحزن، وللصمت أن يتبدد، وللعقل أن يفكر كيف السبيل إلى تدانينا.

وكعادتى تمالكت نفسى، وقررت ألا يهزمنى يأسى، فإما المقاومة فى سبيل الحب، وإما الاستسلام للفراق والبعد، إنها قوانين الحياة، وليس

للحب من دونها نجاة، فاغتراب أيامٍ قليلةٍ، قد يسعدنا بالحب حياة طويلة، وهكذا يبدأ معترك الحياة.

أخُلِق المتحابون للعذاب، للشوق والاغتراب؟! .. اعتقدت أن ما للمحبين غير الراحة والقرب... لكننى ماوجدت غير لوعةٍ وشوق. كنت أحدث عنك أشيائى حتى يعرفونك مثلما عرفتك، و ويحبونك مثلما أحببتك .. حتى أنى شكيت للبحر والشمس والنجوم؛ ليشاركونى أشجانى وحنينى.. لطالما كانت الطبيعة تشاركنا أفراحنا، حتى جاء الوقت لتشاهد أحزاننا، تركت لك معهم الكثير من الرسائل منتظرة إجابة ..

نعم حبيبتى، لابد من الغربة، فى عالم تطغى فيه المادة، لا يأبه بالحب فيه إلا القليل، فالحب عندهم مجرد أساطير، ومحض خيال فى أذهان العاشقين، فعالمنا ليس كعالمهم، وإن أردنا للحب العيش، فلابد إذاً من الرحيل، وخوض معترك الحياة، لنكتب لحبنا النجاة، فلا تبك فما من بديل، وما فى الحب مستحيل.

وكأن شمسى غربت ولم تعد، وكأن قمرى حزن فما عاد يظهر. . لم يكن غيابك فى تلك المرة كمثل أى غيابٍ سابقٍ، الأمور مختلفة والشعور تبدل ... والحزن أكبر. دائما ما كانت أمٍ كلثوم تشاركنى

أحزانى وأفراحى معك، كنت أستمع لها وأتذكر أيامنا وأبكي... لم أفعل شيئا سوى البكاء، فكان يغسل همومى ويطفئ لهيب شوقى... أو كنت أظن أنه يفعل. فى حديث سار مع عقلى؛ قال لى: لماذا لا تفكرى إلا به، لماذا لا تحاولى النسيان والمضى قدما فى حياتك؟ لماذا تفرطى فى الحزن والغضب على كل من حولك رغم أنك تعلمين كم يحبونك ويرغبون فى سعادتك؟... فأنتِ دائما لا تنصتين إلا لصوتك ولا تتبعى سوى قلبك، دون الاهتمام بى أو اللجوء إلىَّ. اعترفى ولو لمرة واحدة أنك أخطأتِ ومازلت مستمرة فى خطئك، فكرى ولو قليلا.. حتى لا تندمى.

لم يعجبنى أبداً حديث عقلى رغم صحته... أعلم بصحته ولكن لم أهتم، ولماذا أهتم وأنا أظن بأن الحب كافٍ! الحب قادرٌ على أن يجمعنا معاً.. لا يمكنهم بكل سهولة أن يفرقوا بين قلبين لم يعرفوا سوى حب بعضهما والغرق فى أحزان الفراق! لجأت كعادتى ومن قلة حيلتى إلى قلبى... ياقلبى إن الألم يزداد، إنى أحترق بسبب العشق والهوى. لا يمكنك أن تلومنى على شىء بعد أن شاركتنى فيه، فكنت أنت مشجعى الأول، كان ينبع منك حنان لا أعرف أنه بى، وكنت شاهداً على أن حبنا كمثل حب قيس وليلى أو عنتر وعبله. قل لى إنك تشعر بى، ناجينى فى وحدتى وساعدنى للنجاة من حرقتى... وأجهشت فى البكاء دون أن

أنهى حديثى وشعرت بألم يسرى فى جسدى كله وكأن روحى تخرج منى.

استيقظت فى الصباح على ضوء يتخلل غرفتى وصوت الست تقول "أول عينيا ما جت فى عينيك عرفت طريق الشوق بينا وقلبى لما سألته عليك قالى دى نار حبك"... وصرخت بفرح إنه حلمٌ، كان كابوسا ومر، لكنى وجدت الجميع يطمئن على، كأننى مريضة.. يضحكون وفى أعينهم حزنٌ شديد! .. يقولون بأننى مرضت يومين وكنت غائبةً عن الوعى كثيراً وقيل لهم أن السبب هو الحزن... حزن الفراق.

شعرت بأن الحزن لن ينجينى ولن يصبرنى، وجب على الخروج من تلك الحالة، حاول الجميع مساعدتى وإسعادى وفشلوا، فجاء دورى لمساعدة نفسى... فكتبت لك رسائل لتشاركنى بها كل شئ كما لو كنت معى. رسالة لرفيق الدرب الغائب:

"أتمنى لو كنت معى، فشكل الشمس فى الشروق لم يعد كما كان، وكأن الشمس تغيرت!.. أتذكر عندما كنا نسهر معاً للصباح ونرى الشمس تشرق والعصفور يغرد، لم أعد أنتظر للشروق، ولا أرغب فى سماع صوت العصفور! . حتى إننى حاولت الذهاب وحدى أكثر من مرة ورؤية الغروب كما كنا نفعل معاً. لكننى فشلت... كان كل

شئ محزن، فكيف لى أن أذهب دون الإمساك بيدك، دون ابتسامتك، دون رؤيتك. تغيرت رؤيتى للأشياء بدونك وتغير شعورى تجاه ما كان يسعدنى ومالت نفسى للانطواء والظلام. كنت أذهب لمكان جلوسنا المعتاد وأتذكر حديثنا وكأنه كان البارحة.. ضحكاتنا ونظراتنا وصمتنا.. كنت أشعر بأننا لسنا كأى حبيبين، لسنا مثل العشاق الذى يمكن أن يتبدل حبهم بالبعد أو الأزمات.. فنحن أقوى من ذلك، حبيبتك فى انتظارك العمر كله."

وتوالت الرسائل..

كانت أيامى لأى شخصٍ مثالية.. كنت أعمل وأتنزه، كنت شابةً تعيش عمرها. لم يعلموا ما بداخلى.. أصبحت مثلك لا يمكن أن يظهر على وجهى وأفعالى ما يعانيه قلبى.. حتى ظنوا أنى نسيتك، اعتقدوا أنه يمكن لروح واحدة أن تفترق عن نصفها الآخر، وأن الحب بالبعد يتلاشى . أعذر جهلهم فأنا أعذرهم، حينما تعود سيفهمون."

حبيبتى لم تعانى وحدك، فيكفيك أنك كنت بين أهلك، فقد تجدى منهم من يمسح دمعك، ويخفف ألمك، فكم عانيت فى غربتى، وكم آلمتنى وحدتى، فلم أجد من يؤانسنى، أو يواسينى فى وحدتى، كم بكيت وحيداً، ولم أجد من يمسح دمعتى، فليل الغربة طويلٌ كئيب،

والحنين إلى الوطن يزيد لوعتى، فكيف به وقد غاب عنى أحبتى، فلم أجد فى ليالى الغربة إلا رسائلك تخفف ما بى من لوعةٍ، وأملاً بالعودة لأراك فى انتظارى حبيبتى، فلم تعانِ وحدك حبيبتى.

كنت أضيع إذا ما ابتعدت عنى يوماً، وها أنت ابتعدت عنى شهوراً وسنوات. فى فراقنا أكون شمعةً بدون شعلةٍ، وردةً دون رائحةٍ . فى غيابك تغيب روحى ويجن جنون عقلى، لا أشعر إلا بالوهن .. ولا أفكر سوى بحبك. فهل لنا بلقاء يُحى الروح من جديد؟

لم أستطع بعد أن ألملم ذكرياتنا معاً فى خزانة وأحرص على إغلاقها جيداً، فأصبحت الذكريات حية متكرره كل يوم فى غيابك وأصبحت حياتى مليئة بك. مازلت أفتش عنك بين دفاترى القديمة فأجد كلمة حب منك لم يجف حبرها قط بكثرة ما تحمله من مشاعر، أو أجد وردةً رغم جفاف أوراقها مازالت تنبض بالحياة من فرط الحب، مازلت أنصت لما رددناه من أغانٍ قديمة معاً وأشاهد أفلاماً أضحكتنا وتجادلنا عليها فى مناقشتها، حتى الشوارع تحولت لذكريات مبعثرة فى كل مكان، والجدران كتب عليها حروف تجمع أسماءنا معاً وقلوباً ملونة بازهار وردية مثلما كانت الحياة معك، مازلت أقرأ عنك فى كل كتاب أو رواية، وأحكى عنك ليتلقنوا دروس الحياة. كنت معى ولم تغب،

فحبك تملكنى كليا وسيطر على حتى أننى خضعت له وتركتنى أموت شهيدةً فيه .

حبيبتى تيقنت بأن اللقاء آت لا محالة، فلا عيش لى بدونك، ولكنه معترك الحياة، ولابد أن نخوضه، فأضيئى شعلتك، وانشرى عبيرك، فما أعاننى على غربتى إلا رؤيتى -رغم البعد- لنورك، واستنشاقى لعبيرك، وما أعطانى الأمل إلا حبك، وحلمى بقربك، وبلقاء ما بعده فراق.

كنت أعلم أن يوم اللقاء يقترب.. هكذا كان يقينى الذى لم يخالطه شك قط. كنت موجودا معى رغم غيابك، فإن احتجت لنصيحة أذكر كلامك وإن حزنت أذكر ابتسامك. كنت أقرأ علامات الطريق التى تدل على عودتك، فقد كانت تهدئنى من المواعيد المُؤجلة ومن الزمن الخائن... سأظل منتظرة.

كم كانت رسائلك تؤنسنى فى وحدتى، وكم انهمرت دموعى حين أتخيل حزنك، ولكن لابد لى من إتمام مهمتى، متحملا وحدتى، وآلام مهجتى، ومرت سنوات غربتى، واقترب أوان عودتى، ولم أستطع أن أصف فرحتى باقترابها وسعادتى، نعم سأعود إليك حبيبتى، وتعود أيامنا ونلتقى، هكذا خطت أناملى فى آخر رسائلى لكِ، لتخبرك حبيبتى موعد عودتى، متخيلا حرارة أول لقاء بعد غربتى.

وبعد تلك الأعوام الدرامية تقابلنا من جديد... وحينما رأيتك آمنت بأنه لا مفر من حبك ولا خوف من القادم طالما سيكون معك، سلمت أمرى بأن الحب أجمل وأصدق المشاعر، شعرت أن بحبك يمكننى فعل المزيد وتخطى الصعوبات والتحديات وأن لا شئ يمكنه أن يفرقنا. كان قلبى يرجف كأول مرة أراك فيها، فذبت فيك من جديد و جذبتنى إليك مجدداً وشعرت كأننا لم نفترق أبداً.. تهامسنا وتحدثنا وأنصتنا لقلوبنا و تركنا حبنا يسيطر على لقائنا، فكان لقاء ليس كمثله لقاء، ونظرات لم نتبادل مثلها أبداً.. فالفراق أذاب الخلافات وقرب ما بيننا من مسافات ليظهر حبنا لهم من جديد.

ازداد شوقى حتى بلغ أشده، حين اقترب موعد عودتى، وما أن عدت إلى أرض الوطن؛ إلا ودارت حول المكان نظرتى، فما أن وقعت عليك إلا وتسارعت فى قلبى دقتى، وكأنى أراك لأول مرة حبيبتى، ونسيت يومها آلام غربتى، فكل شىء يهون، إذا ما التقى بعد الفراق الأحبة، وأدركت يومها بأننى على مشارف تحقيق أمنيتى.

أعلم أن الصعوبات والخلافات سوف تواجهنا وأنها مصير حتمى لا مفر منه، أعلم بأن الحياة لن تكون مرحة وفرحة دائما، أخطأ و أقر بخطئى أمامك كإبنتك الصغيرة فتمسك بيدى مطمئننى أنك تغفر

لى، لذلك أيقن بأن كل شئ سوف يمر وأن علاقتنا سوف تقوى مهما اصطدمت بعوائق، وأن الخلل لن يصيبنا طالما أنت معى...أثق بك وبأن مبدأنا هو الحب والعطاء مهما مر بنا الوقت وعبث بحبنا الزمان، تعلمت منك بأن ليس لليأس مكان بيننا واننا أقوى من الاستسلام... لذلك أقبل بك كحبيب وكأب و كأخ و صديق، أقبل أن تكون شريكى فى رحلتى دائماً.

حبيبتى كم تقاذفتنا الأيام، وتواردت علينا هموم العشق والأسقام، ولم تتوارى عنا الآمال والأحلام، تدانينا و تناءينا وأبداً ما تخاصمنا، فلا الهموم أتعبتنا، ولا الأيام فرقتنا، ولا استسلمنا للأسقام، ففاق حبنا الخيال، وفاقت حقيقتنا الأحلام، فآن لقلوبنا أن ترتاح، ولأرواحنا أن تسقى العشق فى أقداح، فهلمى نخرج من الضيق إلى عالم البراح.

حبيبى كثيرا ما تكلمنا حديث الحب، وتناقلناه باللسان وبالعين وبالقلب، ولكن كم تمنيت أن تصف يوما ما تراه فىَّ عينك، وما تشعره تجاهى بالقلب.

حبيبتى، لو وزع الحنان على القلوب لنلت منه عظيم القدر، كذا الحنان والصفاء والنقاء والعفة والطهر، وكل مكارم الأخلاق أنت فى النساء – بل فى الناس – لها صدر، زاد عليها الرقة والدلال واللطف.

أما الجمال فلا يضاهيه جمال الشمس فى مشرقها و مغربها، ولا يدانيه جمال القمر عند اكتمال البدر، فما خلقت حروف لوصف جمالك، وإن وجدت ما كفاها فى وصفك الدهر.

فإن جمع الجمال منذ بدء الخليقة إلى نهايتها، كان من جمالك البعض، فقد فقت الكمال فى الجمال حبيبتى، فإن عجزت عن وصفك فالتمسى لى العذر.

حبيبى مرت ليلتنا هادئة سماؤها صافية تملأها نجومٌ لامعة، هواؤها بارد به نسمات تداعب وجوهنا، وشجن أم كلثوم يملأ قلوبنا ... هكذا مرت أول ليلة ونحن معاً، حتى أشرقت شمس حبنا فى صباح يوم جديد فليت كل إشراقة كإشراقة عشقنا..

نعم حبيبتى، مضى القمر بجماله، وأدبر الليل بسكونه، وأسفر الصبح بجمال فريد، وشقشقت عصافير الحب على أغصان الورد؛ تسكب الأنغام، وترانيم عشق تفيض بالألحان، فقد أشرقت شمس يوم جديد، على نافذة شرفتنا تدق، شاهدة على أجمل قصة عشق، فإشراقتها اليوم ليست كأى إشراقة، وإنما هى إشراقة عشق.

***

## خاتمة

فلا تنظروا للحب على أنه خطية، ولا تظلموا المحب، فهو صاحب بلية، فمن ذا يملك قلبه؟، ومن ذا يتحكم فى مشاعره؟، فكلهم سقط الهوى فى قلبه، فصار عاشقاً لا يدرى ما به، فمنهم من باح بحبه، ومنهم من لم يستطع، فأسره فى قلبه، فليس كلهم يقدر على البوح بحبه، فيبقى وحيداً يعانى الشوق والحنين لحِبه، وأشد الآلام أن تعشق ولا يعلم المحبوب بعشقك له، فينحل الجسد، ويسقم القلب، ويتوه العقل، وتهيم الروح، وقد تزهق، ولا يدرى الناس ما به، فلا تلوموا قلوبا عشقت، وأرواحا هامت، فكم قاست فى حبها، وكم عانت من آلامها، فلا الناس درت ما بها، ولا هى باحت بحبها.

فانشروا ثقافة الحب من حولكم، فينقى من الأحقاد والأضغان قلوبكم، فلا أنقى من قلب ملأه الحب، ولا أصفى من قلب ينثر الحب، ولا أحن من قلب غلفه الحب، ولا أرق من قلب يحب ويُحب، فإن لم تفعلوا فاتركوا أهل الحب وأحبابهم، فمهما قاسوا من آلامهم، فساعة حبٍ أو نظرة عشقٍ، أو لمسة ودٍ، قد تكفى لذهاب همهم.

وحده الحب هو مفتاح كل شئ وعنوان كل قصيدة .. فلولا الحب ما كنا خلقنا ولولا الحب ما عشنا، بالحب وحده تثمر الحياة وتملأ البيوت سكناً وأماناً، وإن فارقنا أحبابنا ذات يوم فلن يفارقوا أرواحنا أبداً، وحده الحب

هو الداء والدواء، وحده الحب هو السر الأعظم والحقيقة الكاملة خلف كل شئ، وحده الأمل والقوة وحده الحياة والموت. رغم الضعف يظهرنا أقوياء ورغم الحزن نبدوا سعداء، رغم الألم ورغم صرخاتنا إلا أننا غير قادرين على إكمال رحلة الحياة بدونه، فالحب باق ونحن راحلون.

ولهذا نهدى عملنا هذا:

إلى حب أحيا قلوبنا بعد موتها،

إلى حب نحيا بأمله وتسعد به أيامنا،

إلى روح صادقت روحنا، ولم تقو على فراقنا،

إلى قلوب عانت وأنفس صبرت، وأرواح هامت،

إلى من تحملوا مآسى الحياة، وشدة الآلام، وقسوة الأيام، وسكرات الحب،

إلى من جمعهم الحب أو فرقهم،

إلى الكسيرة قلوبهم،

إلى كل الأحبة، من عرفنا منهم ومن لم نعرف،

إهدا حتى لمن لم تمر عليه نسائم الحب

**حسن خليل**

**رضوى جاويش**